هجمات البدو في القرن السابع عشر من سلطة الدولة التي وقف الاقطاعي في مواجهتها في بعض الاحيان. هذا بالاضافة للدور الذي لعبه متسلّم مدينة نابلس (وهو عادة احد افراد العائلات الاقطاعية الكبيرة) في تعيين شيوخ النواحي الذين «طلبوا رضاه» دائماً. بينما اعتمدت عائلات القدس على مراكزها الدينية، وعلى نفوذها ضمن السلم الوظيفي والاداري للسلطة العثمانية ثم البريطانية بعد ذلك، فاعتمدت، في استقطابها للقوى الريفية (خصوصاً خلال فترة الانتداب البريطاني ١٩١٧ ــ ١٩٤٨)، على كونها «الوسيط ــ غير مدفوع الأجر ــ بين الفلاحين والسلطة (العثمانية والبريطانية)» كما يذكر سابيلا(٧).

□ خاضت كل الفئات الايكولوجية (اهل المدينة والريف والبدو) المحيطة بمنطقة نابلس، معارك الفترة الممتدة بين اواخر القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر، بينما تميّزت منطقة القدس بابتعاد عائلات المدينة عن الحرب، واشتراك القوى الريفية بالاساس في هذه المعارك. ويلاحظ هنا ان المحاولات الانفصالية كانت معدومة تقريباً في القدس بعكس منطقة نابلس، فعائلات القدس ارتبطت بشكل اوثق مع السلطة العثمانية.

ونقف، الآن، امام التساؤل الاساسي المطروح في هذا البحث، وهو ماهية الأسس التي قام عليها الصراع بين العائلات الاقطاعية الفلسطينية خلال الفترة الممتدة من اواخر القرن الثامن عشر وحتى اوائل القرن العشرين، وكيف استطاعت هذه العائلات ان تؤلب وتعبىء الجماهير الفلسطينية على هذه الأسس خلال تلك الفترة؟.

لقد تناول عدد من الباحثين وعلماء الاجتماع هذه القضية، وتنوعت وجهات النظر فيها، فرفائيل باتاى، مثلاً، يحاول الإجابة على هذا التساؤل، في كتاباته عن التعارضات القيسية ــ اليمنية في فلسطين، على اساس إرجاع هذه القضية إلى نسب العائلات (قيسي يمني) مثل تعارض عائلة الحسيني (يمني) وعائلة الخالدي (قيسي) في القدس. ويعارض سابيلا ذلك، في بحثه عن «العائلات الحاكمة الفلسطينية والتنظيمات الاقتصادية ــ الاجتماعية والسياسية خلال الفترة ما بين ١٩١٧ ــ ١٩٤٨»، و«يعتبر ان البحث في اصول هذه العائلات تبعاً لعلاقتها بالدين بالعسكرية، وبعوامل تاريخية اخرى هو الاساس السليم لبحث تعارضاتها، وان كان هذا لايلغي استعمال قضية قيسي ــ يمني في بعض الحالات»(٨). ثم يضيف: «انه بالاضافة لتضارب المصالح الموجودة بين العائلات في بعض الاحيان، إلا ان التنظيم القبلي ــ قيس ويمن ــ الذي ما زال يفرض نفسه على التنظيم الاجتماعي في فلسطين، ما زال يلعب الدور المهم في التعارض القائم بين العائلات»(٩).

اما آبير، في مقالته: «القيادات المحلية والاصلاحات في فلسطين»، فانه يعتبر ان تضارب المصالح بين هذه العائلات هو العامل الحاسم في خلافاتها، ويستند على ذلك بتغيّر مواقع عدد من العائلات (ضمن فرضية معسكري قيس ــ يمن) في الحروب المختلفة التي مرت المنطقة بها(١٠)، مما يضعف من الأسس التي قامت عليها الفرضية السابقة.

اما مريام هوكستر، وهي التي درست هذا الموضوع بتفصيل في مقالتها عن «دور قيس ــ يمن في الانقسامات السياسية المحلية بمقارنة جبل نابلس ومنطقة القدس في